دور وادي سوف في معركة المقارين (1854)
وآثارها على المقاومة المسلحة
في المنطقة الجنوبية الشرقية

د. علي غنابزية ـ جامعة الوادي

المقدمة: ـ

رغم احتلال فرنسا للجزائر في سنة 1830 فإن توغلها في بقية المدن والقرى تطلب منها وقتا طويلا . استغرق نحو عقدين من الزمن . وصلت فيه القوات الفرنسية إلى أطراف الصحراء في الجنوب الشرقي، لأن القابلية العلنية للاستعمار كانت مرفوضة من عامة الشعب، وحينئذ أخذت المقاومة الوطنية أشكالا متعددة لمواجهة الهجمة الشرسة، وتصدت بأقصى ما تملك من إمكانيات، وما تستطيع بذله من جهد، أملته عليها الوطنية الصادقة، والواجب الشرعي، والمروءة الإنسانية.

وتعتبر منطقة وادي سوف؛ إحدى مدن الجنوب الشرقي للجزائر، التي كانت خارج نطاق الغزو . أثناء الهجمة الفرنسية على الجزائر. وتأخرت جحافل القوات الفرنسية عنها مؤقتا، ريثما تتوفر الظروف المناسبة لغزوها، ولكنها حافظت على سلوكها الثوري في دعم المقاومة والمشاركة فيها بشتى الطرق، واستغلت موروثها القديم في إيواء المظلومين، وتضامنت مع أصحاب القضايا السياسية، ووفرت لهم اللجوء السياسي، وأضحت المأوى الآمن، والملجأ الحصين الذي يحمي الوافدين . الذين اندمجوا بعفوية في المجتمع . وصارت من عناصره الأساسية، ومثلت قسما من قبائله التي ساهمت في صنع تاريخه، وحملت لواء المقاومة والجهاد، ووقفت كالطود الأشم في وجع الاستعمار الزاحف نحو الجنوب، وقدمت الدعم المادي والبشري لقوى المقاومة الشعبية منذ الأمير عبد القادر وخلفائه في منطقة الزيبان، واستمر نشاطها بعد احتلال بسكرة سنة 1844، وحينها أدركت وادي سوف، وجارتها وادي ريغ . أن الدائرة قريبا تكون قريبا من حماهم الآمن ، وأدركوا مسعى السلطات الفرنسية في مقاطعة قسنطينة، والجهود المكثفة لاستكمال الاختلال لبقية الفضاء الصحراوي . ولاسيما المناطق المجاورة . فاحتلت الأغواط 1852، وأبرمت اتفاقا مع أهل مزاب 1853، وتمكنت من احتلال ورقلة في أواخر 1853، وذلك طوق . منطقتي وادي ريغ ومن ورائها وادي سوف . من جهاتها الشمالية والغربية، ويومئذ أعدت الخطة الفرنسية بدقة، وحددت أهدافها بإحكام شديد، وكانت أهم ملامحها:

. تجميع الجيوش الفرنسية من المناطق المحتلة والانقضاض بقوة على إمارة بني جلاب،[1] والتوغل نحو وادي سوف المتاخمة للبلاد التونسية، وبلاد غدامس الليبية.

. وضع حد للمقاومة الشعبية التي أزعجت القوات الفرنسية ما بين 1852–1853، بمشاركة ورقلة ووادي ريغ، ومؤازرة سكان وادي سوف، وقيادة الشريف محمد بن عبد الله، وبن ناصر بن شهرة، وسلطان تقرت سلمان الجلابي.

. التصميم على غزو وادي ريغ واحتلالها مع وادي سوف، ورفع العلم الفرنسي على أراضيها، ووضعها تحت تصرف الإدارة الفرنسية، وإنهاء الأسطورة المخيفة التي أرقت الفرنسيين وأثبتت عجزهم في عملية التوغل وغزو بقية الجزائر .

وعندما شرعت القيادة الفرنسية في تجميع قواتها الموزعة في الحاميات، لتنفيذ مخططها السابق، حددت موقع القتال، وجعلت مقصدها مدينة تقرت التي تحتضن مركز الإمارة، ولعل حالة الاستنفار الوطنية التي أعلنها السلطان سلمان، وطلب النجدة من وادي سوف، وحالة التحفز من المقاومة، كانت عوامل مفزعة للفرنسيين، الذين راهنوا على إبعاد تلك العناصر عن حلبة الصراع، من اجل الانفراد بوادي ريغ لتكون لقمة سائغة، يسهل الالتفاف حولها، ولكن وادي سوف أصرت على الدفاع، والتأم الشمل في ضواحي الإمارة، وأضحت بلدة المقارين[2] مجالا للمعركة التاريخية في أواخر نوفمبر 1854، وكانت المقاومة من سكان وادي سوف ذات دلالات متعددة الجوانب، واختلطت دماء الشهداء من مقاومي الصحراء، وروت سهل المقارين معلنة عن وحدة أبنائها في البذل والعطاء، والمقاومة والجهاد، وأداء الواجب الوطني، والوقوف في وجه الغزاة المعتدين، وكان لجيش النجدة . القادم من وادي سوف . حجمه في موازين القوى قبل المعركة، ووضع تحت النظر الفرنسي، وعجل بحسم المعركة ودفع عجلتها بسرعة، ولا شك أن المعركة خلفت آثارها المأساوية، وتأثرت المقاومة من تداعياتها خلال عقدين ونصف، ولكنها جسدت معاني البطولة والصمود، ولم تستسلم للغزاة، بل سطرت في صفحات التاريخ صورا للمقاومة التي خلفت على مر الزمن دروسا في الوطنية الصادقة.

1) علاقة وادي سوف بسلطنة بني جلاب ما بين 1830 . 1854:

عندما تم الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830، كانت منطقة وادي سوف خاضعة لسلطة بني جلاب، وتدفع إليها الضرائب بانتظام، وعند تأخرها تؤخذ منهم عنوة بعد قتال مرير، وهجوم كاسح يتولاه السلطان الجلابي بنفسه، كما تعتبر سوف متعاونة مع السلطة الجلابية في إرسال الدعم البشري أثناء صراع الصفوف الجلابية على السلطة، ولاسيما بين تقرت وتماسين وهذا جعل المنطقة في حرج من أمرها، فانقسمت قراها في الولاء والمناصرة، وهذا عرضها للعقوبات المختلفة بعد انتهاء المعارك بين تلك الصفوف المتصارعة على حكم وادي ريغ، مثلما وقع في عهد " علي بن محمد " الذي يعرف بـ " علي الكبير " الذي اختار الشيخ سياسة المهادنة والتعاون مع الفرنسيين، ويعتبر بذلك أول حاكم جلابي يتصل بهم عارضا عليهم التعاون، وانتهت المعارك بانتصار جلابي تماسين والزاوية التيجانية المدعمة لهم على سلطنة تقرت.[3] وإثر هذه المعارك توجه الشيخ على الكبير إلى سوف وأثخن فيها قتلا، انتقاما من أهلها لأنهم يأوون خصوم الإمارة الجلابية من جهة،[4] ويؤازرون تماسين عليهم، ولكن الموت عاجله في نفس السنة 1833، عندما وضعت له . السم . أرملة أخيه عمر "لّلة عيشوش" الجلابية، وحينئذ مكنت ولدها الشيخ عبد الرحمان بن عمر ليكون سلطانا على تقرت، عوضا عن الشيخ سلمان بن علي الذي فر إلى تماسين ناجيا بنفسه من " **لّلة عيشوش**". ولم يكن ابنها عبد الرحمان[5] المدعو "بوليفة" أهلا للحكم، إذ لم يتجاوز عمره ثماني سنوات فتولت الوصاية عليه أمه "عيشوش" فصارت الحاكم الفعلي للبلاد لمدة سبع سنوات إلى غاية عام 1840،

ويومئذ تولى ابنها عبد الرحمان الحكم بصفة رسمية؛ ولما احتلت فرنسا بسكرة 1844 اتصل بالفرنسيين معترفا بسيادتهم على المنطقة المحتلة وبدأ يدفع لهم ضرائب سنوية بقيمة 20000 فرنك.[6]

وعندما وقعت الأزمة بين تماسين وتقرت في 2 ديسمبر 1847، اقترحت سوف الوساطة لفض النزاع، ولكن الشيخ عبد الرحمان أعلن الحرب على تماسين وبعث ممثليه إلى سوف طالبا منهم العون، فأحرج أهل سوف وتخلوا عن تماسين من أجل المحافظة على السلم حسب تقديرهم للأمر، وأرسلوا 650 جنديا لمساعدة تقرت في نزالها الذي دام من 12 إلى 21 فيفري 1848، وانتهى بهزيمة تماسين، ودخل الجيش الجلابي إلى تقرت، ولكن السلطان صرف رجال سوف بدون مراعاة للجهود التي بذلوها من أجله.[7]

والجدير بالذكر أن الفرنسيين رفضوا تقديم المساعدة للشيخ عبد الرحمان لما عزم على مهاجمة سوف بعد ذلك، خوفا من اتساع نفوذه وقوته فيصبح خطرا يعرقل توسعهم، ومع ذلك زار الشيخ عبد الرحمان مدينة بسكرة في مارس 1848 واستقبل من قبل الملازم الأول ديبوسكات " Debosquet " وذلك كان ثمن الولاء الجلابي للسلطة الفرنسية.[8]

وبدأ في شهر فيفري 1851 ظهور الثائر الشريف محمد بن عبد الله [9] الذي عسكر بالقرب من تقرت وأعلن نفسه سلطانا على ورقلة في أوت 1851 وبدأ يفكر في السيطرة على تقرت فاتجه إليها وانضم إليه سلمان بن جلاب المعارض لأبن عمه عبد الرحمان، فهاجما تقرت وقتلا 85 رجلا وأرغما السلطان على الاعتصام بقصره.[10] لكن فرنسا وقفت إلى جانبه وأدركته بالمساعدة من بسكرة، وخاض معركة حاسمة قرب تماسين في 5 سبتمبر 1851 انتهت بانتصاره. وفي 25 جانفي 1852 توفي الشيخ عبد الرحمان بن جلاب بعد مرض مفاجئ ولم يترك وراءه سوى أطفال صغار، أكبرهم عبد القادر، الذي لم يتجاوز سبع سنوات،[11] فتولت جدته " لله عيشوش " الوصاية عليه،[12] وتخوفت فرنسا يومئذ من زحف الشيخ سلمان بن جلاب على تقرت، والاستحواذ على عرشها، فسارعت إلى الاعتراف بالصبي عبد القادر سلطانا على وادي ريغ وسوف، وعينت أحمد بن الحاج بن قانة وصيا عليه إلى حين بلوغه سن الرشد.[13] لكن الموت عاجله، وذلك فتح الطريق أمام سلمان بن محمد بن جلاب فاستولى على الحكم سنة 1853،[14] بمساعدة أولاد أسعود من أهل سوف المتواجدين في قرى كوينين وتاغزوت، وبمساعدتهم تمكن من الانتصار والتحكم في زمام الأمور في البلاد.[15]

وقد عرضت السلطات الفرنسية على الشيخ سلمان بن محمد بن جلاب التعاون معها مقابل تثبيته على حكم تقرت وسوف، لكنه رفض ذلك العرض لأنه قد نذر نفسه رفقة مجموعة من المقاومين بالتصدي لجحافل هذا الغزو الاستعماري، ولأن العرض يحمل في ثناياه صفة الاحتلال للمنطقة.(16)

وقد وصل في شهر مارس 1853 طابور فرنسي إلى مدينة بسكرة تحت قيادة العقيد ديفو قائد مقاطعة باتنة، وتوجه صوب تقرت من أجل غزوها،[17] واكتفت تلك القوات بإجراء مناورات بضواحي المدينة محاولة إثارة الفزع في حياة سكان، وفيها تحذير لسلمان من مغبة إصراره وتعنته ورفضه موالاة الفرنسيين.[18] ومن جهته قام سلمان بتحصين مدينته، واستنفر سكان تقرت، وقرى وادي ريغ وأهل سوف، وراسل شريف ورقلة محمد بن عبد الله، [19]

وذهب إلى أبعد من ذلك حيث طلب المساعدة والمدد من الباي التونسي، الذي لم يستجب لطلبه، واكتفى بإهدائه ست بنادق.[20]

وبعد انسحاب القوات الفرنسية عن تقرت بدأت قوات المقاومة الشعبية تتجمع فيها وحينئذ ازداد الإصرار الفرنسي لاحتلال منطقتي تقرت وسوف والذي تم الإعداد له بكل قوة وصرامة.[21]

2) دور وادي سوف في مقاومة الاستعمار الفرنسي 1832 . 1854:

كان احتلال مدينة الجزائر واستسلامها في 5 جويلية 1830 قد ترك هلعا واضطرابا كبيرا في نفوس سكان وادي ريغ ووادي سوف على حد سواء، وعاشت المنطقة بأكملها في حروب واضطرابات دامت ثلاث سنوات، إذا تغلبت لغة الصراع على السلطة على الأوضاع السائدة يومئذ، ودب الخلاف والتنافس في نفوس رؤساء القبائل وأبناء البيت الجلابي بتقرت.[22]

وشرعت فرنسا مباشرة في عملية " **الاستيطان الحر**"، إذ قام المستثمرون الأثرياء بابتياع المقاطعات وهاجر الفلاحون من اسبانيا إلى الغرب الجزائري ، ومن مالطا وإيطاليا وكورسيكا إلى الشرق الجزائري، لأن الجزائر صارت من الممتلكات الفرنسية كما أعلن الملك لويس فيليب سنة 1834. وتقرر في عام 1840 احتلال البلاد كلها، وعيّن الجنرال بيجو حاكما عاما (1841) فاستهل حكمه بتطبيق الاستيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب، وبدأ هذا الاستيطان يتضخم بسرعة بين عامي 1848 – 1852 .[23]

وبدأ زحف القوات الفرنسية في مختلف الاتجاهات، ولكنها اصطدمت بمقاومة شعبية قوية، أخرت قواتها عن الوصول إلى الجنوب الشرقي في مدة تجاوزت عشرين سنة، وكانت وادي سوف طرفا مساعدا في المقاومة، وجسدت مشاركتها ماديا وبشريا ومعنويا، وأبرز أشكالها:

أ) إيواء رجال المقاومة الشعبية:

لقد ساعد الموقع الجغرافي لوادي سوف والامتداد الرملي الشاسع والمناخ القاسي الذي تميزت به، على عزل أرضها مؤقتا، وصارت الملاذ الآمن الذي يأوي إليه المقاومون الشعبيون بعد انتهاء معاركهم، فيستقرون من أجل استرجاع الأنفاس وتجديد روح المقاومة، والإعداد للمعركة الجديدة.[24]

وأخذت المنطقة هذه الصفة منذ القدم، وقد أشار إلى ذلك العدواني في تاريخه خلال القرن السابع عشر، في قصة العش عندما عزم على الهروب من تونس إلى سوف قال لأبنائه: " **عليكم بسوف فهي أم الهارب**".[25]

وقد التجأ إليها في القرن التاسع عشر الحاج أحمد باي قسنطينة خلال شهر ديسمبر 1837 أثناء صراعه مع فرحات بن سعيد،[26] وانسحب هذا الأخير مرة أخرى إلى سوف بعد هزيمته في معركة ضارية مع الحاج أحمد باي عام 1838.[27] أما خليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير بن عبد الرحمان الذي أبدى مقاومة باسلة في مواجهة الفرنسيين فإنه اضطر إلى الانسحاب نحو سوف بعد احتلال الفرنسيين لبسكرة سنة 1844،[28] وبعد الاحتلال الفرنسي للأغواط وورقلة سنة 1853، التجأ الثائر ابن ناصر بن شهرة إلى الجريد التونسي عبر سوف.[29] وظل شانها على هذا المضمار إلى يوم الاستقرار الفرنسي بسوف سنة 1882.

ب) الدعم المستمر للمقاومة الشعبية:

ساهمت " وادي سوف " مساهمة فعالة في دعم المقاومين بشتى أنواع الدعم المادية والبشرية، وساعدها في ذلك، مجاورتها لأسواق السلاح القريبة منها في تونس وغدامس.[30] وقد نشط المقاومون في عملية جلب الأسلحة والذخائر من هذه الأسواق، الأمر الذي أزعج المستعمر، ولاسيما الدعم البشري والذي برز جليا في مقاومة الأمير عبد القادر عندما استنفر المجتمع للجهاد . بعد مبايعته . بتوجيه نداء بتاريخ 22 نوفمبر 1832 للقبائل والأعراش طالبا منهم مؤازرته في الكفاح المسلح ضد الفرنسيين ومما ورد في البيان : " ... ولذلك ندعوكم في أن تشاركوا في هذا العهد أو العقد، بيننا وبينكم، سارعوا إذن، لإعلان ولائكم وطاعتكم، والله يجازيكم في الدنيا والآخرة، إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخير ما دمت حيا، إن ثقتي في الله، ومنه هو وحده أرجو الجزاء والنجاح ".[31] كما وجه دعوة للاجتماع في مدينة معسكر في ربيع 1833، وقد رحب بالدعوة عدد كبير من القبائل الهامة في التل والصحراء .[32] فأتاه من جملتهم في الحين جماعة من تقرت وسوف.[33] ورغم أن الأمير لم يبسط نفوذه على منطقتي تقرت وسوف،[34] وفقدانه منطقة الزيبان بعد احتلالها سنة 1844، ولجوء خليفته على الزيبان محمد الصغير بن عبد الرحمان إلى سوف والذي لم يتوقف عن المقاومة تحت لواء الأمير حتى بعد استسلام هذا الأخير عام 1847، حيث كان بالحاج يجوب المناطق المتاخمة للزيبان، وهي سوف والجريد التونسي. وعندما وقعت أحداث واحة الزعاطشة أواخر عام 1849،[35] وصلت أصداؤها إلى وادي سوف والجريد،[36] وحينئذ غادرت سوف مجموعة من المقاومين لنجدة إخوانهم المحاصرين،[37] ولا يستبعد التنسيق بين السوافة وبين محمد الصغير بن عبد الرحمان الذي كان يومها في نفطة التونسية، وقدم لنجدة الشيخ بوزيان شيخ واحة الزعاطشة، والذي كان تابعا فيما سبق لسلطة الأمير عبد القادر.[38]

وكانت أصداء وادي سوف مسموعة عند الفرنسيين، الذين يترقبون الفرصة السانحة، ووضع حد لأعمال السكان، وإنهاء عمليات الإيواء والدعم الذي قدمته وادي سوف للمقاومة الشعبية، وانتهى الأمر بإحكام قبضتهم على منطقة الزيبان مع نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومواصلة توغلها نحو الجنوب وتأديب منطقتي وادي ريغ ووادي سوف، والتي احتضنت حركة المقاومة إلى آخر نفس في معركتي المقارين وتقرت في أواخر سنة 1854.

3) مشاركة سكان وادي سوف في معركة المقارين:

كانت وادي سوف سباقة للنجدة، مستجيبة على جناح السرعة لنداء الواجب كلما ظهرت الضرورة الملحة، وخصوصا عند محاربة الكافر المعتدي على الأرض، والعدو الظالم المستبيح للمال والعرض، وهذا جعلهم ينظمون أنفسهم في قوات كبيرة، أبرزها "**جيش النجدة**" الذي شارك بقوة في موقعة المقارين، وكانت الظروف المحيطة متشابكة قبيل القتال، وإثناء النزال والمواجهة، وبعد انكسار جيش المقاومة وانسحابه، وتمثل ذلك كله في السياق الموالي:

أ)الظروف العامة في المنطقة قبيل المعركة:

كانت موازين القوى مختلفة بين أطراف الصراع قبيل معركة المقارين بين جيش المقاومة من جهة والقوات الغازية في الطرف الثاني، واختلفت الظروف في مجال تجميع العناصر، وتنظيم الحركة بين مواقع متعددة الأطراف، بداية من وادي سوف، ومرورا بالطيبات، والمغير، ووصولا إلى المقارين، وختامها بمدينة تقرت العريقة، وكانت قلعة حصينة تختفي وراءها وادي سوف، وتتمل في " **إمارة بني جلاب**" التي وضع الفرنسيون أمامها كل ثقلهم العسكري، واستنفرت الإمارة كل السكان لنجدة البلاد وحمايتها من الاحتلال، وكان سير الأحداث على النسق التالي:

. <u>أما منطقة وادي سوف:</u>

كانت وادي سوف خلال سنة 1854 محلا لرجال المقاومة، فقصدها **سلمان** ومعه 80 فرسا،[39] وكانت مهمته ربط العلاقات مع أهلها وتدعيمه بالسلاح والرجال في وقت الحاجة، وبعد رجوعه إلى تقرت، وتأكده من عزم الفرنسيين على غزو بلاده، فبعث برسالة الاستنفار العام إلى سكان الوادي، ومما ورد فيها:

(الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله:

حفظ الله أولادنا وقبايلنا(كذا) كافة أهل الواد وأهل قمار والبهيمة والدبيلة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن كنتم منا فاقدموا بفرودكم [40] (كذا) إلينا دون تراخ وكثروا من البارود والثقيل فإن الجهاد قد قرب وحان وقته اقدموا فكوا بلادكم واضربوا على دين نبيكم فقال تعالى يا أيها النبي حرض المومنين على القتال الآية [41] وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله وقال جل من قايل(كذا) قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله [42] وقال عليه الصلاة والسلام روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها [43] ورباط يوم وليلة أفضل من عبادة سبعين سنة [44] وإن أولاد الشيخ عبد الرحمان عظم الله أجركم فيهم وما بقا (كذا) إلا طريق الإسلام وطريق الكفر فمن أحب الإسلام يقدم إلينا ومن أحب طريق الكفر الله يحشره معهم ولا بد تامروا تجاركم يقدموا إلينا بالبارود والثقيل والمكاحل للبيع فإن ما ذكرناه في غاية البيع فيا سعادة من قتل على دينه ويا خسارة من يبدل دينه بدين الخزيان ولا بد تبعثوا إلى كل من فيه شعرة الإسلام يقدم إلينا والسلام. من سلمان بن علي وفقه الله ءامين.) [45]

. <u>الشريف محمد بن عبد الله</u> كان يجول بين وادي ريغ وسوف[46] وكان قبيل المعركة في مدينة الوادي مركز سوف يستنهض الهمم للذهاب كلية إلى نصرة تقرت، ويوم 27 نوفمبر كان الشريف بالطيبات ومعه مجموعات من مقاتلي سوف، وحاولت قوات الضابط مارميي التوغل في الطيبات، تستهدف إرجاع مقاتلي سوف إلى بلدهم، ولكنه اخفق وما عليه إلا الرجوع إلى المقارين، وفي المقابل وصل الشريف بعد ظهيرة اليوم الموالي إلى تقرت بمعية أكثر من 2000 جندي و 400 فارس.[47]

. <u>الفرنسيون:</u> كان استعدادهم لغزو الجنوب الشرقي وفق المعطيات والأخبار التي تزودهم بها أجهزة استخباراتهم، والتقارير التي يكتبها الرحالة، ولما قرب موعد الغزو في أواخر سنة 1854 أرسلوا من بسكرة الملازم روز(Rose) لاستطلاع الوضع، وسلك الطريق من الفيض إلى قمار، واستقبل بحفاوة، وتمت بعثته بدون حوادث. كما أرسل العربي المملوك يوم 2 نوفمبر 1854 للاستطلاع بمعية 150 من الفرسان إلى نواحي سوف وتقرت، ووقع الصدام بينهم وبين بعض أعراب الصحراء، وحينئذ تأكدوا من خطورة الوضع في طريق تقرت، وعلموا أن سلمان يتوعد أهل

المغير بالعقوبات الصارمة لأنهم يوالون المستعمر، وهذا دفع الفرنسيين إلى التفكير بجد في حماية القبائل القريبة من المغير ولاسيما السلمية والرحمان واولاد مولات، ومساعدتهم على توفير الأمن لهم لجني تمورهم حتى لا تكون ضمن سطو سلمان وجنوده، وتم الأمر بإرسال قواتهم المكونة من القوم والصبايحية والقناصة إلى منطقة المقارين حتى تكون في مواجهة قوات المقاومة المدارة من سلمان والشريف، وحينئذ يتم حماية غلة البدو الموالين لفرنسا.[48]

ب)الوضع القتالي أثناء المعركة:

أما الوضع القتالي من مختلف الأطراف، والمبادرات من طرفي الصراع فتمثلت فيما يلي:

. الفرنسيون:

تجمعت القوات الفرنسية من كل حدب وصوب، وألقت بثقلها العسكري في وادي ريغ، واستنفرت مختلف القوى الرسمية ولاسيما أعوان الاستعمار من الأهالي المجندين ضمن فرق الصبايحية والقوم، وبلغت نحو 2650 مقاتل وكانت تشكيلة القوات كما يلي:

أ) القائد العام للحملة هو العقيد ديفو(Desveaux) وهو حاكم مقاطعة باتنة.

ب) قيادة الأركان وبها مجموعة من الضباط هم:

. المقدم مارميي(Marmier) قائد الصبايحية للفرقة الثالثة، وحاكم المكتب العربي بباتنة.

. النقيب سيروكا(Seroka) رئيس المكتب العربي ببسكرة.

. الملازم روز (Rose) كاتب رئيس المكتب العرب بسكرة. [49]

ج) وأما القوات الفرنسية المشاركة:

1. فرقة الصبايحية الاستطلاعية بقيادة العربي المملوك، وعددهم 150 فرسا، قاموا بمراقبة الطرق في حواف سوف وتقرت يوم 2 نوفمبر 1854.

2. قوات العقيد ديفو المتمركزة في المغير وقوامها 500 بندقية عيار68، وثلاث سرايا من القناصة، ومدفعين حجم 12.

3. القوات المتقدمة إلى ميدان المقارين بقيادة مارميي تتكون من حوالي 800 فارس من القوم، 1300 من المشاة وسريتين من الصبايحية وفرقة قناصة. [50]

. المقاومون:

تجمعت القوات الشعبية من وادي سوف، وقوات الثائر الشريف محمد بن عبد الله، وقوات تقرت بقيادة سلمان، وبلغ عددها ما بين 2400 [51] أو 2800 ألفين من المشاة والبقية من الخيالة الذين يمتطون صهوة جياد الحرب. [52]

وكان جيش النجدة القادم من وادي سوف محل مراهنة واهتمام الجميع، فقد علق عليه سلمان أسباب الدعم[53]، وقد رافقهم الشريف وشد من أزرهم وحفزهم للقتال، وكانوا محل قلق من الفرنسيين، وحاول مارميي أن يحول بينهم

وبين تقرت، ولكنهم افلتوا من الطيبات بمعية الشريف،[54] وكان عددهم نحو 1500 مقاتل[55] يتقدون حماسة، وكلهم شغف في المقاومة، ويتسمون بالجرأة والشجاعة المفرطة.

. مراحل المعركة:

. وصول القوات الفرنسية لموقع المعركة: منذ يوم 22 نوفمبر بدأ القائد مارمي في التقدم بجيشه الصغير نحو المقارين، ولم تسجل مناوشات، بل بعض المفاوضات مع سكان القرى المتواجدة في طريقه وهي وغلانة، وسيدي راشد، وسيدي يحي، وغمرة، وكان يسعى لإقناعهم بان الحرب لا تخصهم، وإنما هي عقوبة وتأديب لسلمان المستبد، وقاتل أولاد الشيخ عبد الرحمان، وهدف الجيش الفرنسي هو تخليص الشعب المقهور من ظلمه الصارخ، ووصلت القوات الفرنسية إلى المقارين يوم 28 نوفمبر، وعسكرت في المرتفع الذي يعاين البلدة، فعن يمينه الواحة وفي يساره اتجاه طريق الطيبات الذي يجلب المقاومين من وادي سوف.[56]

. الخطة المعدة من الطرفين ، كانت الخطة عند سلمان والشريف غير مضبوطة، ففي يوم المعركة (29 نوفمبر 1854) تأهب جيش المقاومة لمهاجمة معسكر الفرنسيين، والتفكير في الغنائم التي يحصلون عليها بحركتهم المباغتة، وجذبتهم أعداد الجمال والأحمرة والأمتعة المختلفة، وكان اعتقادهم أنها معركة مضمونة النتائج، وحينئذ تحركوا بفرسانهم في السهول المكشوفة نحو الشرق، وجعلهم يلفتون الانتباه، وينم سلوكهم على ثقة مفرطة، وينقصهم حسن التقدير والحساب لإمكانيات العدو المستعد والذي رسم خطته المحكمة،[57] ولعل الذي أجج القوم بعض المتحمسين ولاسيما من أهل سوف، وعلى رأسهم المدعو كربلاع كما أشار العوامر، مبرزا وجهة النظر الوطنية، [58] وكانت أوامر القائد مارميي لجنوده ومساعديه، هي التخندق والاندساس في المنخفضات، والسير في حواف شريط النخيل الطويل الممتد نحو المقارين، ومهاجمة البلدة بقوة، ثم التراجع بسرعة نحو المعسكر، والحرص الكبير على حماية المعسكر والدفاع عنه، والعمل على تطويق الواحة القريبة.[59]

. بدء القتال: كان أول ظهور للمقاومين في صباح يوم 29 نوفمبر أمام المعسكر الفرنسي، عندما صوبوا طلقاتهم نحوه، وكان القائد مارمي قد قدم تعليماته لفرقة احمد بلحاج من القوم أن تواجههم بالساحة، ولكنهم أرغموا على التراجع، وحينئذ توالت الفرق العسكرية الفرنسية في التقدم ومنهم جنود الصبايحية بقيادة الملازم الأول عمار الذي قاتل بحماسة واندفاع من جهة اليسار لصد قوات المقاومة، وفي الوقت نفسه اندفعت قناصة النقيب فندريواس(Vendrios) بجسارة نحو قبة المرابط سي علي بن كانون في الجهة التي تواجه البلدة، والتي يسعى الثوار إلى احتلالها، وفي تلك الأثناء كانت جثث المقاومين تتساقط في حواف الخنادق المنتشرة بالمقارين، وكان جنود المقاومة يحملون أعلامهم إلى الأمام فتقدمت نحوهم سرية النقيب كورتيفران(Courtivroin) الذي وصل إلى وسط جموع المقاومين الذين انهالت عليهم ضربات جنود القناصة وطوقتهم فرسان الميدان، وأثخنوا فيهم قتلا وتحولت الموقعة إلى مجزرة خلفت نحو 500 ما بين شهيد وجريح حسب شهادة الفرنسيين، ولم يسقط من جنودهم سوى 11 قتيلا و 46 جريحا،[60] وكانت نتائج اليوم الأول مأساوية، أظهرت ضعف جيش المقاومة، وهشاشة بنيته

التحتية، وخضوع نشاطه للارتجالية المفرطة، وهذا جعل القوات تفر من الميدان نحو تقرت، معلنة عن انهزامها المحقق.

ج)انتهاء القتال وآثاره القريبة: افتتح الضابط المنتصر مارميي يومه الموالي(30 نوفمبر) بعقد دورة استطلاعية تتكون من مأتي فارس، أخذت تجوب على طول واحة تقرت، لتتأكد من التراجع الحقيقي للثوار، لأن الشريف استسلم ومعه أهل الطيبات وعدد كبير من مقاومي وادي سوف، وكانت أوامر سلمان أن تتجمع تلك القوات الوطنية خارج المدينة بنوع من التحدي الذي وافق عليه الشريف الذي اخذ الدرس من مقاومته في الاغواط، واخذ العهد على نفسه أن لا ينزوي في بلدة تكون مهاجمة من طرف الفرنسيين، وحينئذ بدأت فكرة الانسحاب النهائي من تقرت تراود رجال المقاومة، وخصوصا على وقع أصوات الطوابير العسكرة التي قدمت من كل حدب وصوب، وكلها عزم وتصميم على الفتك بالمقاومة واحتلال تقرت كلية. [61]

4) نتائج معركة المقارين وأثرها على منطقة وادي سوف:

خلفت معركة المقارين نتائج خطيرة، وخسائر فادحة، وهزائم متوالية، وتمثلت حصيلتها الثقيلة فيما يلي:

أ)إحتلال تقرت: توجهت القوات الفرنسية الضخمة آتية من بوسعادة بقيادة الرائد بان " Pein " [62] والقائد جيري "Géry " قادما بقواته من الأغواط،[63] كما تعززت القوات الفرنسية بكتائب وطوابير عسكرية أحدها بقيادة دي باراي " Du Barail" والعقيد ديفو الذي كان يراقب الموقف في المغير، تحرك نحو عاصمة وادي ريغ، وكان في مقدمة الجميع المقدم مارمي " Marmier" وكانت تلك التحركات متزامنة مع إخفاق المقاومة في المقارين، وانسحاب جيشها نحو تقرت، وحينئذ وبعد ثلاثة أيام فقط، اقتنع . سلمان والشريف ومقاومي وادي سوف . باستحالة الصمود دفاعا عن المدينة الأسيرة، وانسحبوا ليلة 2 ديسمبر 1854 بسلاحهم ومتاعهم الخفيف، وعهد سلمان بنسائه وأبنائه إلى زاوية تماسين، وفي الصباح دخل القائد مارمي إلى تقرت بهدوء, وهذا ما أكده القائد سيروكا . الذي كان شاهد عيان . منوها بالصرامة والتدابير المحكمة التي اتخذتها السلطات الفرنسية من اجل تفادي الفوضى، وعملت على طمأنة السكان، وهذا حقق السلم المنتظر، وشجع العناصر المنحازة إلى تماسين بالدخول إلى بيوتهم بداية من اليوم الموالي(3 ديسمبر) [64] ، بينما تؤكد الكتابات الوطنية أنهم طبقوا أساليب العنف ضد السكان . كعادتهم كلما تغلبوا على قرية أو مدينة .[65] وفي يوم 5 ديسمبر 1854، لما دخلها العقيد ديفو بمعيه جنود الطوابير العسكرية التي جلبت من لغواط، وبوسعادة، وباتنة، لتلتحم مع القوات التي سبقها، ويومها أعلن عن سقوط "**مشيخة بني جلاب**" التي حكمت تقرت أكثر من أربعة قرون، وبسقوطها سهُل على الفرنسيين مواصلة زحفهم نحو" وادي سوف".[66]

ب)ملاحقة فلول المقاومة المنسحبة: ومما كتبه سيروكا عن سعي السلطات الفرنسية تجاه قادة القاومة، ولاسيما الشريف وسلمان الذين احتموا بالوادي، وبدأ في مطاردتهم، والسعي لمعاقبة أهل الوادي، [67] وحينئذ ترك العقيد "ديفو" بعض قواته بالمدينة للمحافظة على الأمن،[68] وقاد بقية القوات، وأتجه نحو وادي سوف،[69] في 10 ديسمبر 1854 وكان مضطرا لسلوك طريق رملي صعب المراس، كثير المنحدرات، ومتعدد المسالك، ورغم أن المسافة لا تتجاوز 85 كلم تقريبا، فإن القوات الفرنسية استغرقت رحلتها ثلاثة أيام، متخذة طريق الطيبات القبلية،[70]

وكان هدفهم إلقاء القبض على قادة المقاومة ولاسيما سلمان الذي اصطحب معه نحو 30 مقاتلا من سكان تقرت قدروا انه لا يمكنهم البقاء في أمان، و الشريف محمد بن عبد الله الذي كانت معه نحو 450 خيمة تضم زمالته المتنقلة،[71] والتضييق على بقية المقاومين، وتصفيتهم ليكونوا عبرة لغيرهم، ويعتبر انسحاب القادة نحو مدينة الوادي، والاستقرار ببلاد الجريد التونسية من الترتيبات المحكمة لحماية أنفسهم، ومواصلة الكفاح في المرحلة الموالية، وتفويت الفرصة على الاستعمار، وإبقاء جذوة المقاومة تتقد حيوية ونشاطا، لمواجهة الغزاة المحتلين في جولة مستقبلية.

ج) غزو وادي سوف واحتلاله: واصلت الطوابير الفرنسية طريقها حتى وصلت إلى مشارف أول بلدة من قرى سوف تدعى تاغزوت، وتوقفت، ودخل ديفو في مفاوضات شديدة أمام الطابور العسكري مع وجهاء المنطقة، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على عدة أمور، حينئذ دخلت القوات الفرنسية إلى تاغزوت في 13 ديسمبر 1854 وتم استقبالهم من طرف الأهالي باطمئنان ورضا،[72] وهذا ما صرحت به الكتابات الفرنسية مشيرة بذلك إلى استسلام سكان المنطقة بسهولة للقوات الغازية والرضاء بشروطهم بيسر،[73] ولكن الرأي الوطني المحلي له وجهة نظر أخرى تفيد أن الصدام كان عنيفا بين الطرفين، فقد استمات سكان سوف وبذلوا أقصى ما عندهم من جهد، ووقع قتال بين الطرفين أياما عديدة في النخيل والسيوف،[74] وتغلب الفرنسيون." [75] وحسب المصادر الفرنسية، فإن العقيد ديفو قضى مدة سبعة أيام بسوف.[76] قضاها في الصراع مع المقاومين، لكن الجدير بالتنويه في هذا المجال هو عدم تكافؤ القوة بين الطرفين، فالقوات الفرنسية امتازت بضخامتها وقوة تنظيمها، وقد ضمت قوات هائلة قدمت من باتنة، والاغواط، وبوسعادة، إضافة إلى وحدة صفوفها وحنكة قيادتها وامتلاكها أسلحة متطورة وكافية، مع إتقانها أساليب الحرب الحديثة. وفي مقابل ذلك كان المجتمع السوفي يعيش حياة قبلية بدوية، وهذا ما جعل جهوده مبعثرة في القرى والبوادي من جهة، والافتقار لقائد يجمع أطراف البلاد ويقودها في الحرب والسلم، فضلا عن قلة الأسلحة وفقدان خطة عسكرية محكمة لمواجهة عدو عنيد، ومن جهة أخرى فإن الانكسار والهزيمة التي لقيها الجند السوفي مع إخوانهم أهل وادي ريغ في موقعة المقارين، وانسحابهم نحو منطقتهم، جعلت عملية الدفاع التي قاموا بها مجرد استجابة للواجب، ودفاعا عن الشرف والعرض، وإرضاء للضمير ولو بأضعف مظاهر القوة التي يملكونها. [77]

ولما عجزت القوات الأهلية في رد الزحف الفرنسي استجابت للمفاوضات التي مكنت هذه القوات من التقدم نحو بلدة " كوينين " [78] وبنت معسكرها بجوارها يوم 15 ديسمبر، ومنها انتقلت إلى عاصمة سوف . **مدينة الوادي** . في 16 ديسمبر 1854، وبني المعسكر في مواجهة المدينة التي استعصت عليهم، وكان بها نحو 1700 مقاوم، وقد بذلوا كل ما لديهم لمنع القوات الفرنسية من دخول المدينة، وكانوا يعتقدون قدرة البلدة على المقاومة المستمرة بسبب صعوبة الموقع الذي تتربع عليه، وكثرة الرمال، والعدد المعتبر من المقاومين، ولكن القوات الفرنسية استطاعت بعد يومين من الصراع المرير أن تفتك المدينة، وأخضعتها لنفوذها، وأدبت عناصر المقاومة، وانسحب ديفو في يوم 18 ديسمبر نحو كوينين، وبعد راحة خفيفة، واصل طابوره التقدم نحو تقرت بداية من يوم 19 والتي وصلها يوم 22

ديسمبر 1854. [79] لتقوم بتنظيم الإقليم، وضبط شؤونه الإدارية بالاشتراك مع منطقة وادي سوف، فبادر العقيد ديفو بتعيين "علي باي " بن فرحات بن سعيد " قايد " على تقرت وسوف باسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854. [80]

د) معاقبة المقاومين: أثاء مطاردة رجال المقاومة في تقرت ووادي سوف فرضت السلطات العسكرية عقوبات على السكان ولاسيما المقاومين، وتمثلت في فرض عقوبات مالية، وغرامات معتبرة، دفعها 75 مقاوما من سكان كوينينن، ومبلغ 60،000 فرنكا دفها أهل الوادي، وهذا الإخضاع لسكان سوف، اعتبروه أعظم نتيجة في طريق السلم لوادي ريغ بأكملها، لأن سوف عندهم كانت تتبجح بقوتها وعنادها، وتعتقد أنها محمية من ضربات الفرنسيين، ببعد أرضها، وكثرة رمالها التي تعيق سير الجيوش الفرنسية، ولكن ذلك تبدد بقدرة الجيش الفرنسي الذي أخضعها، ثم أمر ديفو بنزع سلاح مدينة تقرت، والنزلة، وتبسبست، والزاوية، وترك بعض السلاح في أيدي المتعاونين مع الفرنسيين الذين شكلوا نواة الميليس،[81] وإمعانا منه في الضغط والتضييق، تم اختيار عدد من الأفراد المتنفذين من مختلف القرى، واخذوا إلى بسكرة لاستعمالهم كرهائن، والضغط بهم على المقاومة الشعبية التي تتحفز على النهوض والمواجهة في كل حين، وهم يتحسسون باستمرار أخبار سلمان والشريف في تونس، واجتماعهم بعدو الفرنسيين احمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر، وهذا دفع العقيد ديفو إلى إطالة مكوثه في تقرت إلى يوم 24 جانفي 1855 لتنظيم شؤونها، والقيام بأعمال إستراتيجية لتأمين حاميتها الفرنسية، ومحاولة النهوض بالواحة [82] لتوفير سبل الراحة للفرنسيين واستغلال ذلك لذر الرماد في العيون، وإشغال السكان برغبتهم في البناء الحضاري الذي يزعمون دوما أنهم رعاته في البلاد.

وعند رجوع القوات الفرنسية لم تترك في سوف أي اثر لها من القوات العسكرية لتحافظ على احتلالها، وذلك جعل منطقتي وادي سوف وريغ (تقرت) محل صراع مرير ومقاومة متواصلة دامت قرابة 30 سنة، ولم تتمكن السلطات الفرنسية من الاستقرار النهائي بسوف إلا في منتصف الثمانينات عندما طوقت تلك المقاومات، وقضت على زعمائها. [83]

. الخاتمة:

انتهت معركة المقارين في يومها، وتفرق المقاومون في مختلف الأنحاء والاتجاهات، ولكن عطاءها برز في عمق التاريخ، لأنها تكشف عن الحقائق الغائبة، والبطولات الخفية، والأخطاء العابرة، والمزالق التي لا تغتفر، والصعوبات التي تقتضي التبرير والعفو. ويمكن تحديد بعض النتائج التي تبدت من خلال المعركة:

. تحول الأهداف القتالية عند السلطات الجلابية بمدينة تقرت، وارتقائها من الصراع على السلطة الداخلية إلى الدفاع عن البلاد والتوجه إلى العدو المشترك الذي يتربص بالجميع، ولا يميز بين تقرت ولا تماسين، وهدفه النهائي يكمن في إخضاع البلاد للفرنسيين.

. تحول مقاصد النجدة عند أهل سوف، والتي كانت قديما تلبية لأحد الأطراف بدافع الولاء أو المصالح المادية المشتركة، فضلا عن الخوف والرهبة من العقوبات المترتبة عن الرفض، وصارت منذ معركة المقارين، بدافع الواجب الوطني، وتلبية للنداء الرباني، والوفاء والمروءة.

. التعاون بين مناطق الجنوب، وتلبية النداء في حينه بدون تردد، وبذل الإمكانيات المتوفرة بسخاء منقطع النظير، والدفاع إلى آخر جهد ظاهر.

. كانت المعركة درسا للمقاومة الشعبية التي كانت مفعمة بالشجاعة والإقدام، وينقصها التخطيط والإعداد، بينما كان العدو أكثر تنظيما ويمتلك مخططا مدروسا، وكان النجاح حليفه بتلك الإمكانيات المركزة في نطاقها المناسب، وهذا يجسد المعنى الحضاري في شقه المادي.

والجدير بالذكر أن معركة المقارين فتحت الطريق أمام القوات الغازية، وتمكنت في وقت محدود من الدخول لتقرت، والمسارعة نحو وادي سوف لمعاقبتها على دورها في نجدة تقرت، وتأديبها، ولكنها انتظرت نصف شهر لتتوغل في الصحراء، وعدة أيام لتقف مضطرة أمام عاصمة سوف التي سقطت نهائيا في أيديهم يوم 16 ديسمبر بعد مقاومة شديدة.

ورغم إتمام عملية الغزو بنجاح، وتنصيب قيادة محلية تتحكم في وادي ريغ وتتبعها وادي سوف، إلا أن المقاومة بقيت متواصلة لمدة تجاوزت ربع قرن، واستمر لهيبها مشتعلا إلى بداية الثمانينيات . ولم تتوقف عن حركتها . وحينها فكرت فرنسا في الاستقرار النهائي الذي تم عشية احتلال تونس، ويومها بدأت تحط رحالها في وادي سوف في 1882.

. الهوامش:

1) **دولة بني جلاب:** ينتسبون إلى بني مرين، ومؤسس السلطنة هو الشيخ الحاج سليمان بن رجب المريني الجلابي، الذي قدم من فاس المغربية، وكان ثريا، ولما أصابت الناس ذائقة مالية، وخاف الشيخ محمد بن يحي على استغلال السكان من طرف اليهود، فتشاور مع الصالحين والعلماء، ثم عرض على سليمان بن رجب أن يتنازل عن الديون المترتبة على السكان، مقابل توليته على حكم الإقليم، خلفا لبني يوسف الدواودة، فقبل العرض، وحينئذ نشأت إمارة (سلطنه) بني جلاب التي دامت ما بين 1414-1854، وهذه الرواية القريبة إلى الحقيقة، ويرى الطاهر بن دومة، أن تأسيس السلطنة تم في 837هـ/1531م من طرف احمد الجلابي الذي سلمه المدينة الرجل الصالح سيدي محمد بن يحي، وحينئذ قسم السلطة بين ولديه، فجعل محمد في تقرت، وإبراهيم في تماسين.المراجع: الشيخ محمد الطاهر بن دومة: **نبذة تاريخية عن سكان وادي ريغ** – مخطوط, ص 9. عبد الحميد إبراهيم قادري: التعريف بوادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهد بتقرت، ط1، دار الآمال للطباعة، الوادي، 1999، ص14- 15. عبد القادر بوباية: " **قيام حكم بني جلاب بوادي ريغ**" ، ضمن مدونة الملتقى التاريخي الثالث المنعقد بمقر متحف المجاهد بتقرت من طرف الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، أفريل 1998، ص ص 32-36.معاذ عمراني، المرجع السابق، ص ص 26-27.

2) **المقارين:** قرية تقع شمال تقرت وتبعد عنها بنحو 12 كلم.

3) André Voisin – **le souf Manographie** – EL-WALID , EL-OUED, 2004, P 72.

الطاهر بن دومة ،المرجع السابق.

4) إبراهيم العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، 1977، ص 238.

5) الحاج محمد الصغير دبابي – "**حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ**" – مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ. 1998، ص 42.

6) د. بن نعمية عبد المجيد " **مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854** " مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ. المرجع السابق. (1998). ص ص 120 –122.

7) André Voisin,op–cit ,p72.

8) بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص 123.

9) أصله من قبيلة روسل قرب عين تموشنت، انتقل إلى تلمسان واشتغل معلما للقرآن، واعتكف في ضريح أبي مدين وبدأ يجمع الأنصار، فأمرته السلطات الفرنسية بالتوجه إلى الحج للتخلص من مشاغباته فالتقى بمحمد علي السنوسي وأسّسا معا زاوية دينية اتخذاها مركزا لتجميع الجزائريين المضطهدين. وعاد إلى الجزائر عام 1850 واستقر بورقلة ومنها انطلق كفاحه.

10) يحي بوعزيز – **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين** – دار البعث. ط 1. قسنطينة. 1980. ص125.

11) بن نعمية عبد المجيد – المرجع السابق – ص123–124.

12) محمد الطاهر عبد الجواد **– عاصمة وادي ريغ (تقرت) أيام بني جلاب –** مدونة الملتقى التاريخي الثالث في فترة حكم بني جلاب في منطقة وادي ريغ 1898. الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت. الآمال للطباعة الوادي. 1999. ص 50–51.

13) الحاج محمد الصغير دبابي ، المرجع السابق، ص 43.

14) محمد الطاهر عبد الجواد، **المرجع السابق**، ص 51.

15) Souad Selami – **Touggourt Esquisse Historique** –Les imprimeries du sud .Ouargla. 1998. P 65.

16) الحاج محمد الصغير دبابي ، المرجع السابق، ص 43.

17) Souad Selami ,op–cit ,p65.

18) الحاج محمد الصغير دبابي ، المرجع السابق، ص 43.

19) Souad Selami ,op–cit ,p65.

20) الحاج محمد الصغير دبابي ، المرجع السابق، ص 43.

21) علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر(هـ) التاسع عشر(م)**، رسالة ماجستير مخطوطة، قدمت بجامعة الجزائر تحت إشراف الدكتور عمر بن خروف، 2001، **ص 34.**

22) إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص 229.

23) جوا ن غليسبي : **الجزائر الثائرة** ، دار الطليعة. ط 1. بيروت. 1961، ص 15.

24) علي غنابزية، المرجع السابق، ص 47.

25) محمد العدواني : **تاريخ العدواني**، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، 1996، ص 117.

26) يحي بوعزيز : " **معارك الحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية** " في مجلة الثقافة،الجزائر، نوفمبر/ديسمبر 1985، العدد90، ص ص 127- 129.

27) يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، ص 46.

28) ابراهيم العوامر ، المرجع السابق، ص 247.

29) يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر- ص 178.

30) يحي بوعزيز " **تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال**" محاضرة مخطوطة، قدمت في الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة اول نوفمبر1954 بالوادي من 19 – 20 مارس 1999.

31) شارل هنري تشرشل : **حياة الأمير عبد القادر الجزائري** ، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور ابوالقاسم سعد الله. الدار التونسية للنشر. تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ماي 1974، ص 60.

32) نفسه، ص 62.

33) ابراهيم العوامر – المرجع السابق- ص 230.

34) يؤكد الأمير في مذكراته أن سلطته لم تبسط على المناطق التالية: " وليس في الصحراء سوى أربعة مراكز لم تصلها بعد سلطتي، وهي ميزاب، وورقلة، وتقرت، ووادي سوف..." أنظر: شارل هنري تشرتشل ، المرجع السابق، ص 136.

35) يحي بو عزيز : **كفاح الجزائر من خلال الوثائق** ، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986. ص56.

36) أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج 1. ص357.

37) إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** ، ديوان المطبوعات الجامعية. لجزائر 1999. ص 85.

38) يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر، ص 56.

39) Voir: A.O.M. 8H49-50. Col.Seroka,**Histoire de Biskra**,4 Fascules, Fas N°04,p06.

40) **الفرود:** جمع فرد، وهو القطعة الواحدة، تعني في الثقافة الشعبية السلاح الخفيف، ويتمثل في البنادق الصغيرة.

41) سورة الأنفال آية 65.

42) سورة آل عمرن آية 31.

43) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: " ...**والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**" رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

44) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: " ...**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه** " رواه ومسلم والترمذي وغيرهم.

45) معاذ عمراني: **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ميلاديين دراسة سياسية واجتماعية** ، رسالة ماجستير مخطوطة، قدمت بجامعة قسنطينة تحت إشراف الدكتورة فاطمة الزهراء قشي ، 2003، ص108 .

46) Voir: Seroka,Op-Cit,p07.

47) Ibid,pp 9-11.

48) Ibid,pp 6-8.

49) رضوان شافو: **مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي(1852-1875)** رسالة ماجستير مخطوطة، قدمت بجامعة الجزائر تحت إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله ، 2007، ص ص 80- 85 .

50) Voir: Seroka,Op-Cit,p07-08.

51) Ibid,p 11.

52) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 361.

53) إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص 247.

54) كانت دائرة تبسة تستعد لإرسال جيش من النمامشة لنصرة سلمان في موقعة المقارين، ولكن السلطات الفرنسية منعت كل حركة لهم، ووقفت لهم بالمرصاد. أنظر: إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 143. .Seroka,Op-Cit,p11

55) معاذ عمراني: المرجع السابق، ص69 .

56) Voir: Seroka,Op-Cit,p8-11.

57) Ibid, p 11-12.

58) إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص ص 247-248 .

59) Ibid, pp 11-12.

60) Ibid, pp 12-13.

61) Ibid, pp 13-14.

62) رضوان شافو، المرجع السابق، ص 85 .

63) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 128 .

64) Voir: Seroka,Op-Cit,p14.

65) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 128 .

66) أنظر: علي غنابزية، المرجع السابق، ص 39 . شافو رضوان، المرجع السابق، ص 84.

67) Voir: Seroka,Op-Cit,p15.

68) ترك ديفو بمدينة تقرت حامية عسكرية تتكون من 500 جندي تحت إمرة العقيد ليبير(Liébert) والذي كلف بتنظيم المدينة ومباشرة الأشغال داخل القصبة وتهيئتها لتكون مناسبة لإقامة الفرنسيين. Ibid, p 15

69) André Voisin – op . cit . p74.

70) Commandant Couvet **– Notes sur le souf et les souafa** – Bulletin de la société de géographie d'Alger. 1934. P49.

71) Voir: Seroka,Op-Cit,p15.

72) André Voisin – op . cit . p74.

73) لما وصل الطابور الفرنسي إلى بلدة تاغزوت التي تبعد عن الوادي في شمالها بحوالي 14كلم، توجه ميعاد الوادي المشكل من الأعيان والوجهاء، وقصدوا المعسكر، وطلبوا أن يعاملوا بالرحمة، ووعدوا بتطبيق كل الشروط الفرنسية، بينما قابل سكان تاغزوت الجيش الفرنسي بترحاب وإخلاص، لان غالبيتهم معادون لسلمان الجلابي، ولم يرسلوا أفرادهم إلى تقرت ، ولم يشاركوا في المقاومة. Voir: Seroka,Op-Cit,p15

74) **السيوف:** هي الكثبان الرملية.

75) إبراهيم العوامر ، المرجع السابق، ص24.

76) Commandant Couvet – op . cit . p50.

78) أنظر: علي غنابزية، المرجع السابق، ص 40 .

79) **كوينين:** قرية تقع شمال الوادي وتبعد عنه بحوالي 6 كلم.

80) Voir: Seroka,Op-Cit,p15-16.

81) André Voisin – op . cit . p74.

82) **الميليس: (Milice)** هو الحرس البلدي.

83) Voir: Seroka,Op-Cit,p17.

84) أنظر: علي غنابزية، المرجع السابق، ص 40 .